"شرح حرب المستضعفين" .. وقف لازم!

1-لا أدري من أين أبدأ ولا أين أنتهي، ولا ماذا أقول وبماذا أعلق، فهذا الرجل الفذ الفريد هو من أكبر أسباب هدايتي، وما انتفعت بشيء من كتب المعاصرين كما انتفعت بكتبه، وقد قرأت له تقريبا كل شيء، وتشرفت بتفريغ ثلاث دورات مهمة له، أسأل الله له المثوبة الحسنى والجزاء الأوفر، وأن يرحمه حيا وميتا.

أبو مصعب هو الجنرال الكبير مصطفى عبد القادر، التحق بتنظيم "الطليعة المقاتلة" الذي أسسه مروان حديد في سورية لقتال الحكومة البعثية.

وتلقى عدداً من الدورات العسكرية بإشراف ضباط فارين من الجيش السوري في الأردن وضباط من الجيش العراقي والمصري في بغداد والقاهرة، وكانت هذه الدورات ضمن دعم النظامين العراقي والمصري لتنظيم الإخوان المسلمين ضد نظام البعث في سوريا، لخلافات وجدت بين تلك الأنظمة في حينها.

تخصص في علم هندسة المتفجرات وحرب عصابات المدن والعمليات الخاصة، وعمل مدرباً في قواعد الجهاز العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين في الأردن وفي معسكراته ببغداد.

أثناء معارك حماة عينت قيادة تنظيم الإخوان المسلمين المقيمة في بغداد الشيخ أبا مصعب عضواً في القيادة العسكرية العليا بإمارة الشيخ سعيد حوى ونائباً للمسؤول عن منطقة شمال غرب سوريا.

إثر دمار مدينة حماة وانهيار برنامج المواجهة مع النظام أعلن أبو مصعب انفصاله عن تنظيم الإخوان المسلمين، احتجاجاً على إبرامهم "التحالف الوطني" مع الأحزاب العلمانية والشيوعية

والفرع العراقي لحزب البعث، وذلك لأسباب عقدية منهجية واحتجاجاً على الفساد وسوء الإدارة لدى الإخوان، واعتبرهم مسؤولين عن دمار حماة وفشل وإجهاض الثورة الجهادية .

وسجل فيما بعد تفاصيل ذلك في كتابه المشهور والذي أرّخ فيه لتاريخ تلك التجربة ودروسها وهو "الثورة الجهادية السورية" وهو مهم جدا.

سافر إلى بريطانيا بناء على دعوة قاري سعيد الجزائري الذي عاد من أفغانستان إلى الجزائر ليشارك في تأسيس "الجماعة الإسلامية المسلحة"، فمكث في لندن وعمل مع الخلية الإعلامية الداعمة للجهاد الجزائري، وكتب في نشرة الأنصار الجزائرية وغيرها من نشرات الجماعات الجهادية التي كانت تصدر من أوروبا خلال تلك الفترة وخاصة "الفجر" الليبية و"المجاهدون" المصرية، إلى أن انفصل عن الجماعة في بداياتها.

أسس في لندن "مكتب دراسات صراعات العالم الإسلامي"، وقام المكتب بتنفيذ مشروع مقابلتين صحفيتين مع أسامة بن لادن الأولى لصالح القناة التلفزيونية الرابعة في "bbc" والثانية مع شبكة:"cnn".

وهذه النقطة -وهي الإقامة في الغرب وكذلك نقطة التدريب على يد بعض ضباط الأنظمة- أحدثت لبسا وغموضا عند بعض الناس وتحتاج لحاشية وبسط وشرح .. فأقول:

قبل سقوط الاتحاد السوفيتي نشأت "الهوامش الإقليمية"، ويقصد بها: استغلال الثغرات والتناقضات بين دول المعسكر الشرقي ودول المعسكر الغربي، وكذلك بين الدول الإقليمية المتعارضة .

فيقيم معارضو عبد الناصر من الإخوان في السعودية وألمانيا الغربية مثلا، ويستضيف ناصر الملك المخلوع والأمراء المغضوب عليهم. ويقوم النظام العراقي بتدريب وتسليح "الطليعة المقاتلة"

وإخوان سوريا - التنظيم الدولي إبان أحداث حماة (1979-1982) كيدا في النظام السوري.. إلخ .

وفي فترة الثمانينات والتسعينات -بسبب انفتاح "الهوامش"- تدفق إسلاميون كثر إلى العواصم الأوروبية: فكانت "خلية لندن" التي برز فيها أبو مصعب وأبو قتادة تعمل كالنحل، وكذلك هرب أصحاب الإعدامات والمؤبدات في القضية المصرية الشهيرة (العائدون من ألبانيا) بعد الجهاد البوسني (1992-1995) إلى أوروبا، وسافر الشيخ عمر عبد الرحمن لأمريكا .

وكذلك قبل وأثناء وبعد، سافر مئات الإخوان كيوسف ندا وزيد النعمان ومنير إبراهيم وغيرهم، وعشرات المنشقين عنهم كعصام العطار أمير "إخوان سوريا - جماعة دمشق" الذي أقام في ألمانيا، والشيخ محمد سرور زين العابدين المنشق عن الإخوان والذي ينسب له "السرورية" أقام في إنجلترا .

ثم عممت قوانين مكافحة الإرهاب ومنع اللجوء السياسي، وضيقت هذه الهوامش تدريجيا بعد سقوط السوفييت حتى أغلقت تماما، وقبض على كثير من الجهاديين -دون غيرهم- ورحلوا إلى بلادهم، أو إلى أمريكا، أو سجنوا هناك، أو منعوا من الخروج من هذه الدول .

قال ابن حزم في "المحلى :(125/12) "

(وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه، ولم يحارب المسلمين، ولا أعانهم عليهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه، لأنه مضطر مكره. وقد ذكرنا أن الزهري كان عازما على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم، لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه، وهو كان الوالي بعد هشام، فمن كان هكذا فهو معذور..). اهـ

نرجع لترجمة الشيخ:

على إثر نجاح حركة طالبان في إقامة الإمارة الإسلامية، هاجر إلى أفغانستان وبايع ملا محمد عمر في قندهار، وشكل مجموعة مجاهدة عملت ميدانياً مع الطالبان، كما عمل أبو مصعب مع وزارة الإعلام وكتب في جريدة "الشريعة" الناطقة الرسمية باسم الإمارة، وشارك في إعداد برامج إذاعة كابل العربية.

أسس في أفغانستان "معسكر الغرباء"، وقد تعرض هذا المعسكر إلى تدمير الطائرات الامريكية بالكامل أثناء هجومها على الإمارة الإسلامية إثر أحداث سبتمبر.

وأسس أيضا "مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام" وأصدر مجلة "قضايا الظاهرين على الحق."

اعتقلته السلطات الأمريكية مصادفةً في باكستان في عام 2005م ورحلته إلى سوريا ضمن برنامج الترحيل السري لوكالة المخابرات الأمريكية.

2- كل هذه المعلومات صحيحة مائة بالمائة، وقد ترجم الشيخ لنفسه في شريط بصوته ساعة ونصف تقريبا، وفيه كثير من هذه المعلومات الواردة أعلاه، كما أنه ذكر كثيرا من مواقفه ومراحل حياته في "شرح حرب المستضعفين."

3- عندما تتحدث عن أبي مصعب السوري فأنت تتحدث عن:

المنهج والأفكار والأيدولوجيا، عن نظرية الحشد والتجنيد، عن المناخ الثوري وأسلوب الخطاب وترتيب أولويات الصراع، عن الاستباق الثوري وقضية تعبئة الجماهير والتعبئة ضد الجماهير ونشر الرسالة الثورية، عن مفاتيح الصراع والصراع على الشرعية وقضية القيادة، عن الانفتاح التنظيمي والتعبئة المنهجية والعقليات المتجاوزة المحترفة، عن شبكات القوى السياسية والحرب مع النظام الدولي وقضية الكوادر، عن مصادر التمويل والتنظير المنهجي والتوجيه المعنوي، عن شمولية الخطاب وجذرية المطالب عن الفرق بين خطاب النخبة وخطاب العوام، عن

الغنائم والتساوق الإداري، عن حرب العصابات السياسية وشروطها، كيف تفشل حروب العصابات ولماذا.

كل هذا وأضعافه تتشربه من القراءة لرجل كهذا، ليس بمنطق الترف والمعرفة المطلقة، بل بمنطق التعلم ونشر أفكاره والعمل بها.

4- يمكننا أن نلخص جانبا مهما من منهج أبي مصعب في هذه النقاط (نص كلامه في دورة دعوة المقاومة المرئية -ولم ينشر تفريغها بعد-):

1 -هذه الأمة النائمة لابد لها من عملية إيقاظ، ولابد من هذا الكلام ولو كلفنا رقابنا ودمائنا، لابد لهذه الأمة النائمة من مسحر يوقظها!

2-متى أصبح القتال خط وجه لوجه = يصبح فوضى، ويصبح هناك مجال أن يختبئ ويتحرك أحرار المسلمين، لا يستطيع النظام الدولي أن يقبض عليهم!

3- خرجت أمريكا من فيتنام عندما وصل معدل العمليات إلى 9800 عملية في الشهر، يعني 100 عملية في اليوم!

هكذا ممكن نقول ان في حرب عصابات.

4- المسلمون ذهبت كعبتهم وبترولهم ولم يثوروا ولم يتحركوا !

تصور أن الهندوس أهينت لهم بقرة وذبحت، ايش كانوا عملوا في العالم؟

5- كل مسلم ينتمي لهذا العالم الإسلامي لازم يشعر بأنه عليه أن يدفع هذه الصائل, لأنه يضرب في الشيشان فلازم هو يضربه في المغرب أو نيجريا.

6- الجزيرة والشام ومصر هي قلب العالم الإسلامي وقلب مصالح العدو وضربه فيها مؤلم أكثر من ضربه في ماليزيا مثلا .. هنا يتألم أكثر، هنا المشكلة.

7- أهم ساحات الجهاد الفردي: الجزيرة والشام ومصر، لوجود المقدسات المحتلة وبيت مال المسلمين البترول، والتطبيع مع اليهود، وأهم مصالح النصارى.

8- لم يقم في تاريخ البشرية حكم، ولم تؤسس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة، إلا على أسنة الحراب..

9- (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم) وغفلنا عن أسلحتنا وأمتعتنا، وفعلا مالوا علينا ميلة واحدة، فنحن لازم نعيد عسكرة المسلمين!

10- نحن ندعو شباب الإسلام من خلال هذه النظرية العسكرية أن يلتحقوا بالجبهات المشتعلة، هذه الأمة بحاجة إلى عسكرة!..

11- الاستيلاء على أموال المسلمين هي مشكلة اقتصادية، لكن بهذا النص :

"من قُتل دون ماله فهو شهيد" = أصبحت مشكلة شرعية.

12- الجهاد جهاد أمة وليس جهاد نخبة، هذا له تبعات، لابد أن ندعو الأمة بمفتاح جهاد يقنع الناس بالقتال: سهل مفهوم مقنع للسواد الأعظم من الأمة.

13- قضية دفع الصائل ليست منحصرة في قضية منهج، نحن ندعو كل بر وفاجر من أهل لا إله إلا الله للدفع عن كل بر وفاجر من أهل لا إله إلا الله!

5- لابد أيضا أن تفهم أن هناك فرقا بين رؤية تنظيم القاعدة وبين رؤية أبي مصعب، فالأخير لا يؤيد عمل التنظيمات ويرى أنها قد ولى زمانها، ويريد حربا ثورية شاملة على مستوى العالم الإسلامي أو العربي على الأقل شبيهة بالثورة الصينية، تديرها وتوجهها نخبة، بينما القاعدة ترى أن هذه المرحلة لا يمكن أن تقوم بدون عمل التنظيمات مهما عانينا من مشاكلها، لكنها بؤرة

نخبوية لبعث الأمة مرة أخرى، وللحفاظ على الجذوة مشتعلة لا تنطفئ، وقد طعموا نظريتهم الحركية ببعض تنظيرات أبي مصعب واستفادوا منها.

كتبت في 2014:

الدورة التاريخية التي بدأت ربما تستمر عشرات السنوات، حتى تظهر أول ثمرة عملية لتجربتها التي تحاول الخروج من الشرنقة إلى الآن.

وظني أن "التنظيرات" التي وضعها أبو مصعب السوري والتي ما زالت (بكرا) لم يفتضها أحد بعد= سوف يصنع الله بها شيئا كبيرا بإذن الله. اهـ

نعم، كثير من تنظيرات أبي مصعب الحركية -لا المنهجية- ما زالت بكرا ولم يجربها أحد، ولم يسر على منوالها شخص، ولا نعرف مدى جدواها بعد، لكنها ثرة جديرة بالدراسة والبحث والتجريب.

6- لأبي مصعب جهد مشكور جدا في تنقية الصف من الغلاة، والتنبيه على أي بادرة انحراف عن الجادة، فقد كتب عن كيفية تسرب الغلو في "الدعوة" قائلا:

)كما سبق وعرضت، فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام :

أ - المرحلة الفكرية الحركية .

ب - مرحلة الفكر الجهادي السلفي .

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي، وذكرت إيجابيات ذلك التكامل .

ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة، من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد، في بعض التجارب .

مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي .

وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي.

ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير .

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري) يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم. مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقاً.

وقال أيضا:

)لما تحول المعركة تدريجيا من معركة مع الحكومة ومن وراء الحكومة من القوى الخارجية، إلى معركة مع هذا الشعب فساقه ومنحرفيه ومبتدعته وعلمائه ومدارسه المذهبية، أو حتى على صعيد الطرح والشعار= فاعلموا أننا أصبحنا قلة معزولة عن الناس، لا أدري على ماذا تقاتل، ولماذا تقاتل، ولماذا خرجت!

الآن أصبح كثير من الألفاظ الشرعية المحببة لنفوسنا كسلف وسلفية بمبادئها الصحيحة، أو كلمة بدعة ومبتدعة بمفاهيمها الفاسدة، صارت من كثرة ما استخدمت بطريقة ممجوجة= لم نعد نحب سماعها !

تجلس في المجلس، فلا تسمع إلا: ارتد يرتد فهو مرتد، كفر يكفر فهو كافر، ابتدع يبتدع فهو مبتدع .

المصيبة أن الذين يخوضون في هذا الكلام حملوا السلاح، ويمكنهم إذا نزلوا للناس أن يطبقوا هذه المفاهيم، تفتح شرا على أمة محمد لا ترضي أخيرا إلا كلينتون.)

وفي أواخر التسعينات ظهر كتاب اسمه (كشف شبهات المقاتلين تحت راية من أخل بأصل الدين) ويقصد الكاتب بمن أخل بأصل الدين: حركة طالبان، وحركة حماس، وراية الإخوان المسلمين والطليعة المقاتلة إبان الجهاد ضد حافظ الأسد (1979-1982)، والحركة الإسلامية في كردستان!..

فاتهمهم بالكفر والردة، وحذر من القتال تحت رايتهم، كما نراه الآن من بعض الجهلة المغالين وتصدى له اثنان من الأكابر، أحدهما: أبو مصعب السوري في كتابه (أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم).

بالطبع لا يقر السوري انحرافات وتقصير هذه الحركات والجماعات، لكنه شدد النكير على تلك العقول الحدية، التي لا ترى إلا الأبيض والأسود، ولا يعرفون مثلا من الولاء إلا الكفر الأكبر، ويجهلون مراتبه المتعددة.

الرجل الذي كتب قديما "كشف شبهات المقاتلين" يقال أنه أحد منظري تنظيم الدولة الآن وهو أبو أيوب البرقاوي، والذي بث فيهم من غلوه ما شاء الله، ولقد كنت أنتظر تكفيرهم لأبي مصعب وأترقبه، حتى كتب كاتبهم سلسلة "طمس الرموز - أبو مصعب السوري" وكفر الشيخ فيها واتهمه بشنائع، عامله الله بما يستحق.

انتشرت مدرسة "دعاة لا قضاة" في العالم الإسلامي، حتى امتنع أناس ينسبون لقيادة الحركة الإسلامية عن تكفير أعيان الزنادقة والمرتدين حتى قال د. محمد بديع يوما أن حمزة البسيوني قال الكفر، ثم لم يكفره بعينه بعد سبه للرب ذاك السب المفصل القذر!..

ومئات النماذج على هذا المنوال، حتى لكأن تكفير المعين ليس من دين الله في شيء وقد صرح بعضهم بهذا.

فهاك بعض ما ورد في تكفير أناس بأعيانهم، لا مجرد الحكم على أقوالهم أو أفعالهم بالكفر دون التعرض لأعيانهم :

1- عن البراء بن عازب قال: (لقيتُ عمي ومعه راية، فقلت: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله إلى رجلٍ نكحَ امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه، وآخذ ماله).

]صحيح سنن أبي داود: 3744 .[

2- وفي صحيح البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجلٌ، فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة - تائباً وطالباً للأمان! - فقال: اقتلوه) .

وذلك بسبب أنه ضم إلى ردته شتم النبي صلى الله عليه وسلم والطعن بالدين، ومحاربة الإسلام والمسلمين .

قال ابن تيمية في "الصارم" [ص: 368]: (أمر صلى الله عليه وسلم بقتل مقيس بن حبابة يوم الفتح من غير استتابة لما ضم إلى ردته قتل المسلم وأخذ المال ولم يتب قبل القدرة عليه، وأمر بقتل العرنيين لما ضموا إلى ردتهم نحواً من ذلك وكذلك أمر بقتل ابن خطل لما ضم إلى ردته السب وقتل المسلم، وأمر بقتل ابن أبي سرح لما ضم إلى ردته الطعن عليه والإفتراء) اهـ .

3- روى أبو أدريس قال: (أُتي علي رضي الله عنه بناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام، فسألهم فجحدوا، فقامت عليهم البينة العدول، قال: فقتلهم ولم يستتبهم). وانظر: "الصارم".

4-وقد قال رجل يوما في مجلس علي رضي الله عنه: (ما قتل كعب بن الأشرف إلا غدراً! فأمر علي بضرب عنقه) .

5- وعن عبد الله بن عتبة، قال: (أخذ ابن مسعود قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق، قال: فكتب فيهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكتب إليه أن أعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن قبلوا نخل عنهم، وإن لم يقبلوا فاقتلهم، فقبلها بعضهم فتركه، ولم يقبلها بعضهم فقتله) .

6- وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له: "عند صاحبكم"، وعد هذه الكلمة تنقيصاً له صلى الله عليه وسلم .

7- قال عبد الله: (سئل أبي عن رجل قال: يا ابن كذا وكذا أنت ومن خلقك، قال أبي - أحمد بن حنبل-: هذا مرتد عن الإسلام، قلت لأبي: تضرب عنقه؟ قال: نعم، نضرب عنقه).

8- قيل للإمام أحمد رحمه الله: (إن الحسين بن علي الكرابيسي -وكان من الفقهاء- يقول: إن لفظي بالقرآن مخلوق، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر، فقال الإمام أحمد: بل هو الكافر، قاتله الله، وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا؟!) .

9- قال القاضي عياض في كتابه الشفا: (وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عَجَب، وكان خرج يوماً فأخذه المطر فقال: "بدأ الخراز يرش جلوده!" -يقصد رب العزة تعالى وتقدس- وكان بعض الفقهاء بها قد توقفوا عن سفك دمه، فقال ابن حبيب: "دمه في غيض، أيُشتم ربٌّ عبدناه ثم لا ننتصر له؟! إنَّا إذاً لعبيد سوءٍ، ما نحن له بعابدين" وبكى.

ورُفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت "عَجَب" عمة هذا المطلوب من حظاياه، وأُعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله، فقتل وصُلب بحضرة الفقيهين، وعزل القاضي موسى بن زياد لتهمته بالمداهنة في هذه القضية، ووبَّخ بقية الفقهاء وسبهم) اهـ.

10- أخرج ابن أبي شيبة في كتاب "الإيمان" عن طاوس، قال: (عجباً لإخواننا من أهل العراق يُسمون الحجَّاج مؤمناً).

11- وأخرج عن الشعبي قال: (أشهد أنه مؤمنٌ بالطاغوت، كافرٌ بالله) -يعني الحجاج-

هذا غيض من فيض مما ذكر في تكفير أناس بأعيانهم.

ليست هذه دعوة لاقتحام هذا المعترك الصعب بل مجرد إثبات بأن تكفير المعين من دين الله وليس مخترعا وإن كان لابد أن يكون من مؤهل عالم بالله عالم بدين الله.

ما هو ضابط الحكم بجاهلية الجيوش أو إيمانها..؟

هل راية الإخوان أو الدولة الإسلامية أو غيرهما من الحركات جاهلية أم إسلامية..؟

لابد من تحديد "معيار" منضبط للحكم بالإيمان أو الجاهلية على الجيوش والشرط والدرك، وكذلك الحركات والجماعات والكيانات = لنتحاكم إلى هذا المعيار.

فتوزيع كتب في العقيدة والشرع والدين، وربما المحافظة على الصلوات أيضا يتم بشكل واسع جدا على الجيش السعودي، ومع ذلك فهو جيش (جاهلي) بامتياز.

حسنا.. باستقراء نصوص الشرع يمكننا أن نعتبر (الراية) ثلاثة أركان:

]القواعد - الوسائل - المقاصد.[

القواعد: المباديء التي قامت عليها الحركة أو الجماعة أو الجيش أو الدولة.

المقاصد: الأهداف التي يريد نخبة الكيان أو الحزب الوصول إليها وتحقيقها.

الوسائل: الطرق الموصلة للأهداف، والحبل الواصل بين المباديء والقواعد، والغايات والمقاصد.

فلو طبقنا تلك المعايير على قضية الجيوش والقتال في الشرع، نجد الآتي :

أ- هناك نصوص تركز على (المقاصد والغايات) في الحكم بصواب القتال واعتباره في سبيل الله مثل: قول الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)، وقوله سبحانه (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

حتى لا تكون فتنة، يكون الدين لله، حتى يعطوا الجزية= مقاصد وغايات.

وجماهير المفسرين على أن الفتنة الشرك، أي: حتى لا يكون ثم شرك في الأرض، ويكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان، وحتى تكون الطاعة والخضوع والعبادة كلها لله وحده.

انظر: "ابن كثير" (1/392)، "الطبري .(537/13) "

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله تعالى وحده" وقوله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهي في سبيل الله".؟

(لتكون) اللام هي لام الغاية .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى ".

حتى يشهدوا= غاية من غايات القتال .

وقول المغيرة لعامل كسرى كما في البخاري: "فأمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية."

وعليه فلو كان القتال لتحقيق (المقاصد) الشرعية من: إقامة الدين، وبسط هيمنة الشريعة، وإزالة الأنظمة والحكومات الجاهلية والطواغيت وتحطيم سلطانها، وإخلاء العالم من الفساد، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى (جهاد الطلب) أودفع الظلم والجور والصيال، ورفع جريان حكم الكفر على بلاد الإسلام (جهاد الدفع)= فيعتبر "شرعيا .."

ولو كان مثلا لتحرير الأرض بالمعنى الجاهلي أي: ليس باعتبار تسلط الكفار على أرض من عموم أرض الإسلام = فهو قتال جاهلي.

ومعنى كون (الدين كله لله) يوضحه سيد قطب في "الظلال" (3/1435) فيقول -عليه رحمات الله تترى :-

)منهج هذا الدين أنه حركة تواجه واقعا بشريا، وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي.. إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية، تسندها سلطات ذات قوة مادية ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه :

1- تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ..

2- وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل، وتعبدهم لغير ربهم الجليل.(

ويشرح معنى "جهاد الطلب" بقوله :

)الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه، أو أن تسالمه بجملتها، فلا تقف لدعوته بأي حائل من: نظام سياسي، أو قوة مادية وأن تخلي بينه وبين كل فرد، يختاره

أو لا يختاره بمطلق إرادته، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه، فإن فعل أحد ذلك= كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله، أو حتى يعلن استسلامه .).

وهذا الذي جعل الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلون لكاشغر في الصين، وهي لا تهدد سلطان المسلمين، وإنما لفتح طريق الدعوة بالقوة وإزالة أنظمة الجاهلية وطواغيتها.

ب- وهناك نصوص تعتمد في الحكم على صواب القتال باعتبار (الوسائل والطرق)، مثل: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تغدروا، لا تمثلوا، لا تقتلوا وليدا"، وكذلك نصوص تحريم القتال بين المسلمين وبعضهم كقوله :"إذا التقى المسلمان بسيفيهما" وما ماثلهما.

فلا يصح مثلا أن تصل لمقصد إقامة دين المسلمين بتكفير المسلمين وعلى جثثهم، أو دفع الظلم عن المسلمين بقتل بعض المسلمين !..

ج- وهناك نصوص تعتمد في الحكم على صواب القتال باعتبار (القواعد والمباديء) يسهل تلمسها واستخراجها .

فإذا كان القتال في الإسلام قاعدته التي يستند إليها التوحيد، فثمرة هذا التوحيد هو الولاء لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، والبراء من الشرك والكفر وأهله = فإن من آثار ذلك مثلا :

أن كل من ثبت له عقد الإسلام والتوحيد= فله من المحبة والولاء والنصرة، بغض النظر عن لونه أو عرقه أو موطنه.

بخلاف الجيوش الحالية التي قاعدتها التي تستند وتنتمي إليها، وهي أحد مخرجاتها: الدولة القومية الحديثة أو إن شئت فقل الخبيثة التي نشأت بعد "صلح وستفاليا" **1648** والتي تعني أن الولاء والانتماء والمرجعية فيها تابع للدولة والوطن والقطعة الجغرافية، أي أنها معادية للإسلام وأحكامه بأصل البنية والنشأة.

وعامة دول العالم الإسلامي الآن تابعة لتصور الأمم المتحدة عن أهداف وأسباب ودوافع الحرب والقتال، مع تحاكمهم إلى قوانينها في فض النزاعات، والتزامهم بما تحكم به وكل الدول والحكومات التي تدعي الإسلامية تحاكم إلى القوانين الوضعية، وتستحل ما حرم الله، وتحرم ما أحله، وترتكب من نواقض الإسلام ما يستعصي على الحصر، فقط مقل ومستكثر.

ثم تقوم الجيوش والشرط والدرك والأجهزة الأمنية بحماية هذه الأنظمة، وتجفيف منابع التدين من المجتمعات، بقوانين الإرهاب، والملاحقات الأمنية، وتكسير عظام وسحق كل من أراد -مجرد إرادة- إقامة دين الله، وعدد السجون والمعتقلات وعدد ساكنيها خير دليل.

ثم إن هذه الجيوش هم وكلاء النظام العالمي في شفط الثروات وضخها في شرايين السادة الكبار، والإشراف على إفقار الشعوب الممنهج وتعبيدهم ويترتب على هذه الأصول الجاهلية من الآثار ما الله به عليم.

وبناء على ذلك: فرايات الجيوش العربية كلها رايات جاهلية، لا يجوز الانتساب إليها أو مجرد الثناء حتى، لا شك في ذلك، وبتطبيق المعايير الفائتة عليها يظهر ذلك جليا .

وبفهم ما سبق من ضوابط ومعايير يتبين جرائم فتاوى تحريم القتال في العراق بعد احتلالها في 2003، بحجة عمية الراية.

فلو قام أناس لدفع صائل الكفر، ومنع جريان أحكامه على المسلمين، منطلقين من قواعد التوحيد والإيمان، متحاكمين لدين الله في وسائلهم وطرائقهم، يتغيون غايات ومقاصد شرعية = فهم أنفسهم (الراية)، وليست الراية بالطبع قطعة القماش أو الجلد، وإن كتب عليها ما كتب.

وكذلك، لو قال أحد عن الإخوان :

1- رايتهم جاهلية، لأنهم يؤمنون بالديموقراطية الغربية، وبحقوق الإنسان والحريات بالمعنى الغربي، وبالتعددية الحزبية التي تجيز وصول الشيوعيين للحكم وتعتبره شرعيا، وبهيمنة البرلمان دون الرجوع لهيئة شرعية.. إلخ = فقد اعتبر معيارا واحدا هو (المقاصد والغايات) .

2- رايتهم إسلامية، اعتمادا على كتابات الشيخ حسن البنا وعبد القادر عودة وأئمتهم الكبار قديما = فقد اعتبر معيارا واحدا أيضا هو (المباديء والقواعد) .

والصواب: الجمع بين المعايير الثلاثة، ثم النظر في الغالب على الراية الجاهلية أم الإسلام، لضمان صواب الحكم عليها.

وهكذا الحكم في كل راية مختلطة، ينظر في ما يغلب عليها، فمن غلب عليه الخير نسب إليه، ومن غلب عليه الشر نسب إليه.

وهذا الاختلاط في الخير والشر متصور، كما قال ابن القيم في "الصلاة وحكم تاركها :(78/1) "

(وهاهنا أصل آخر، وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور) ومن غلب عليه شيء نسب إليه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى :(209/28) "

"وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة= استحق من المولاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام و الإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته" اهـ .

#خربشات